

Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human
and Social Sciences



مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية
والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

الرسومات الصخرية بالطاسيلي ناجر- لغة تواصل وهوية

Rock drawings in the Tassili n'Ajjer- A Language of Communication and Identity

مغربي أسماء – ¹Megherbi Asma ، طامر أنوال- ²Ennouel Tameur

¹ طالبة دكتوراه، جامعة أحمد بن بلة-وهران1، كلية الأدب والفنون-قسم الفنون، مخبر أرشفة المسرح الجزائري.

الايمل المني megherbi.asma@edu.univ-oran1.dz

¹ Ph.D., Ahmad bin Balah-Oran University, Faculty of Arts and Literature, Department of Arts, Algerian Theatre Archives.

Professional e-mails megherbi.asma@edu.univ-oran1.dz

² أستاذة التعليم العالي، جامعة أحمد بن بلة-وهران1، كلية الأدب والفنون-قسم الفنون، مخبر أرشفة المسرح

الجزائري،

الايمل المني tameur.ennouel@univ-oran.dz

² Professor of Higher Education, Ahmad bin Balah-Oran University, Faculty of Literature and Arts, Department of Arts, Algerian Theatre Archives.

Professional e-mails tameur.ennouel@univ-oran.dz

الايمل: asmayasmine92@gmail.com

المؤلف المرسل: مغربي أسماء- Megherbi Asma

تاريخ القبول : 2024/10/15

تاريخ الاستلام: 2023/11/14

الملخص :

اللغة هي الوسيلة الرئيسية التي ندير بها حياتنا الاجتماعية , و عندما تستخدم اللغة في سياقات التواصل تتعقد الصلة بينها و بين الثقافة في نواح كثيرة و متشابكة لذا جاءت هذه الورقة البحثية تستكشف الطريقة التواصلية للإنسان قبل معرفته الكتابة عن طريق دراسة طبيعة الرسوم الصخرية بالطاسيلي ناجر وأهميتها في تدوين و تأريخ ما تحويه المنطقة من موضوعات مرتبطة بالحياة اليومية و الاجتماعية و الثقافية لإنسان المنطقة في عصور ما قبل التاريخ , حيث تهدف هذه الدراسة إلى البحث في النمط الثقافي الذي ميز المجتمع خلال العصور البدائية من خلال الرسوم الصخرية باعتبارها شكلا من أشكال التواصل والتعبير عن الهوية و كذا عنصرا جوهريا لفهم طبيعة الحياة في تلك المجتمعات البدائية و ذلك من أجل تحقيق نتائج البحث المتمثلة في أن الرسوم الصخرية بالطاسيلي ناجر أداة مهمة للتواصل آنذاك , كما أنها وسيلة لتعزيز الهوية الجماعية للمجتمعات التي قامت بها, خاصة و أن الشمال الإفريقي عرف تنابعا لأنواع أنثروبولوجية مختلفة ما يجعل من تلك الرسوم لغة تواصلية بين القديم و حاضرننا..ما بين تاريخنا الممتد في القدم و هويتنا.

الكلمات المفتاحية : اللغة و التواصل-الرسوم الصخرية-الهوية-الطاسيلي ناجر.

Abstract:

This research paper explores how humans communicate before they know how to write by studying the nature of the Tassili n'Ajjer rock paintings and their importance in the codification and history of the region subjects associated with the daily, social and cultural life of the region people in prehistoric times. This study is aimed at examining the cultural pattern that has characterized society during the primitive ages through rock paintings as a form of communication and expression of identity and as an essential element for understanding the nature of life in these primitive societies. This is in order to achieve the results of the research that the Tassili rock paintings are an important tool for communication at the time. It is also a means of promoting the collective identity of the societies that they have developed, especially since the North of Africa has defined a sequence of different anthropological species that makes them a communication language between the ancient and our present..between our ancient history and our identity.

Keywords: Language and communication - rock paintings - identity - Tassili n'Ajjer.-

مقدمة:

إن فن اللوحات الصخرية الجميلة في الطاسيلي ناجر ليس فقط شهادة بصرية على التواجد البشري الطويل الأمد بالمنطقة، بل يجسد أيضاً المعتقدات والقيم المعقدة لسكانها حيث أن هذه اللوحات تشكل الإرث البارز لهذه الثقافة المهددة الآن بالانقراض كما أنها تعبير عن تقليد شفهي تم تناقله من جيل إلى آخر لأكثر من 10000 عام.

الطاسيلي ناجر هي واحدة من أكثر المناطق روعة في الصحراء، حيث تضم مجموعة واسعة من البيئات الطبيعية حيث أنه تم تسجيل المنطقة لأول مرة من قبل الأوروبيين في القرن التاسع عشر، وأعيد اكتشاف الفن الصخري فقط في عام 1965. حيث تتركز اللوحات المعروضة بشكل رئيسي في الكهوف على مساحة تبلغ حوالي 150 كيلومتراً مربعاً، وهي تصور مجموعة واسعة من الموضوعات والأشكال، بما في ذلك الحيوانات والبشر والآلهة، إذ اختلف أسلوبهم اختلافاً كبيراً، كما هو الحال مع موضوعهم والتفاصيل الموضحة، كما وارتبط تعبيرهم الفني ارتباطاً مباشراً بأهميته الثقافية.

ليس هناك شك في أن أهم موضوع يمكن العثور عليه في الفن الصخري للطاسيلي ناجر هو حياة الإنسان التي ترجمها بأعمال من الرسم والنحت والنقش، اعتبرناها عملاً فنياً غير أنها في حقيقة الأمر كانت همزة الوصل والتواصل وذروة التعبير الفكري بين الأفراد في تلك الحقبة الزمنية.

و من هذا المنطلق نطرح الإشكالية التالية : كيف يمكن تفسير دور الرسوم الصخرية بالطاسيلي ناجر في تعزيز التواصل والتعبير عن الهوية؟

نرفق هذه الإشكالية بمجموعة الأسئلة:

-ما هي أهم المواضيع التي تناولتها الرسوم الصخرية في الطاسيلي ناجر؟

-ما هي أهم الملاحظات التي يمكن أن نستقرءها من الرسومات الموجودة على كهوف الطاسيلي؟

-ما علاقة الرسوم بالواقع الذي يعيشه الإنسان الآن ؟ أو بالأحرى هل الرسوم امتداد حضاري و ثقافي ارتبط بالمجتمع المعاصر؟

و على هذا الأساس يمكن أن نفترض مايلي:

-الفرضية الأولى : الرسوم الصخرية وسيلة مهمة للتواصل حيث استخدمت لنقل المعلومات والأفكار من جيل لجيل.

-الفرضية الثانية: الرسوم الصخرية وسيلة لتعزيز الهوية الجماعية للمجتمعات في الطاسيلي ناجر حيث تعكس القيم المشتركة للمجتمع، كما تستخدم لتعريف الأجيال بثقافتهم.

أهداف الدراسة:

-البحث في النمط الثقافي الذي ميز المجتمع خلال العصور البدائية.

-وصف مظاهر الحياة البشرية و الحضارية وصفا دقيقا وذلك عن طريق تسجيل كل ما يقوم به الأفراد من سلوكيات في تعاملهم في الحياة اليومية.

-تحديد أصول التغير الذي يحدث للإنسان و أسباب هذا التغير و عملياته بدقة علمية و ذلك بالرجوع إلى التراث الإنساني و ربطه بالحاضر من خلال المقارنة.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في تحليل رسومات الإنسان البدائي وطريقة عيشه و تفاصيل حياته اليومية، و كذا التعرف على الإرث العظيم الذي تركه الإنسان القديم.

المنهجية المتبعة:

يتبع البحث المنهج التاريخي و التحليلي السيميولوجي.

المخطط العام للبحث:

قسمت هذه الدراسة إلى شقين، الأول تناول أهم المواضيع التي تناولها الفن الصخري في الطاسيلي ناجر(قراءة في نماذج) و الشق الثاني تناول الامتداد الحضاري و الثقافي لحضارة الإنسان البدائي.

1- أهم المواضيع التي تناولها الفن الصخري (قراءة في نماذج).

2- الامتداد الحضاري و الثقافي لحضارة الإنسان البدائي .

المحور الأول : أهم المواضيع التي تناولها الفن الصخري-**قراءة في نماذج.**

عرف الإنسان في الجزائر فن التصوير و اهتم به منذ القدم، و من خلاله عبر عن تفاصيل حياته اليومية، والصراع مع الظروف الطبيعية القاسية، و كان ذلك على "المساحات المستوية للصخور في الكهوف و بواسطة أدوات حجرية و تطبيقات لونية و الدليل على ذلك منطقة الطاسيلي ناجر و التي يعود تاريخها إلى أكثر من ثمانية آلاف سنة".¹

تعتبر الطاسيلي من أكثر المناطق تميزاً بالفن الصخري الذي يعود إلى مراحل مختلفة من حياة الإنسان البدائي،

القنص و المعارك فهي كثيرة خاصة في الطاسيلي لكن الصور تكون غامضة أحيانا فيصعب فهمها".⁵

لتفسير مغزى و محتوى تلك الرسوم التي تتضح معالمها و رموزها ، و اكتشاف خباياها التي كانت عبارة عن منطق مرت بحقب زمانية ، من أبعاد اجتماعية و دينية نجد أنها "انصببت في أغلبها على الجانب الأدبي و الفني و الأساطيري و الغرائبي ، لدرجة أن شهرتها السياحية و الفنية و الجمالية فاقت بكثير فائدتها العلمية".⁶

يمثل الشكل المقابل (الشكل 1) "إله سيفار العظيم بالطاسيلي" و هي لوحة عثر عليها بمنطقة سيفار أو صفار بجبال الطاسيلي بالجزائر ، "حيث صُوِرَ الإله بحجم كبير ، واقفا رافعاً ذراعيه ، يعلو رأسه قرنين و يوجد شكل بيضاوي كبير غامض بين ساقيه ، جاءت هيئته و كأنه يهيم في سيره على كل ما يحيط به ، و ربما يمثل تلك الروح المخيفة المسؤولة عن الموت و تحديد مصير الإنسان ، لا سيما و أنه قد لون باللون الأبيض و هو من الألوان التي تعبر عن الموت".⁷

الشكل (1): الإله الكبير بمنطقة سيفار.



المصدر: لخضر بن بوزيد-المعتقدات و الفن الصخري-

ص 230.

المشهد يغطي مساحة تقدر ب 30 م² و يصعب تمييز المشهد الأصلي بسبب كثرة الصور المتراكبة ، و لكن على الأقل يوجد في "المشهد الأصلي الإله الكبير و المصليات و الحيوانات و من الممكن أن مشاهد الشخصيات الصغيرة في الأسفل قد تمثل الأولاد".⁸

و كل المشهد يدور حول الشخصية المركزية ، "أما هؤلاء النسوة فهن يطلبن من الإله الكبير أن يمنحن الأولاد ، فأيديهن مرفوعة بالدعاء لأن تكون ولادتهن سليمة و أن يعيش أولادهن في كنفهن طويلا ، أما الحيوانات التي تظهر في المشهد فتمثل القرابين التي تقدم للإله الكبير ، و حيث أن إحدى هذه الطباء قد رسم مقلوبا مما يدل على أنه تم التضحية به فعلا ، أما الظبي العملاق فهو أنثى حاملا و إلى جانبه صورة المرأة في

خاصة في الفترة التي بدأ فيها باستئناس الحيوان و التي أكدتها مشاهد الفن الصخري في المنطقة.

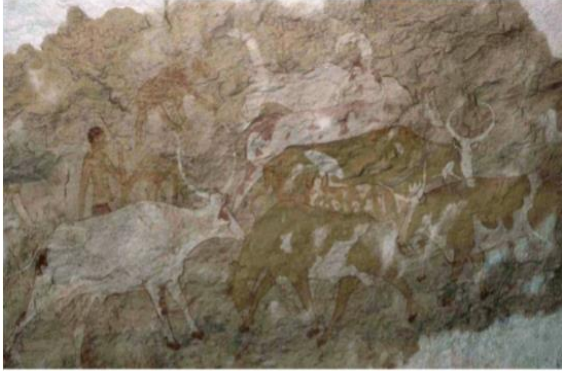
تتكون كهوف الطاسيلي من مجموعة من تشكيلات الصخور المختلفة حيث تحتوي جدران هذه الكهوف على مجموعة هائلة من النقوش الغريبة التي تمثل حياة كاملة لحضارة قديمة و عريقة.

إن مشاهد الرسومات الصخرية تختلف من موقع إلى آخر بما تحويه من عناصر ، فقد يحتوي المشهد على عنصر واحد فقط أو قد يتضمن مجموعة عناصر واحدة ، و قد تشمل المجموعة مجموعة العناصر المتجاورة أو المتداخلة ، "و كان من حسن الحظ أن تزين صخور الصحراء الجزائرية بآلاف المناظر التي تعكس الكثير من جوانب الحياة عند السكان القدامى و لهذا قيل عن هذه المنظر بأنها كتاب الصحراء المفتوح ، فهو الكتاب الذي يظهر لنا ما لم تظهره المصادر الأخرى من حياة سكان الصحراء القدامى".²

إن تسجيل الفن الصخري لانطباعات السكان القدامى على الصخر " لا يعني الاقتصار على التعبير عن مجال أو بعض المجالات المحددة من حياة الإنسان بل إن الفن الصخري يتغلغل و يتطرق إلى مظاهر الحياة الإنسانية كافة فهو يعكس البيئة و المعتقدات الدينية و الشعائرية أو الحياة العائلية و المشاكل التي واجهت إنسان المنطقة".³

لم يمارس صناع ما قبل التاريخ الرسم و النقش بنفس الطريقة ، كما أنهم لم يرسموا نفس الأشياء ، حيث تبدو الرسومات متراكبة و في أساليب مختلفة و اعتمادا على هذا التركيب و على تحليل الصور و أساليبها أمكن وضع تصنيف عام للرسوم الصخرية فهناك مرحلة أولى "هي مرحلة المدرسة القديمة و تمتاز بوجود الحيوانات المتوحشة الكثيرة خاصة الجاموس كما تبرز فيها هياكل بشرية ذات رؤوس مستديرة و أخرى في أشكال كبيرة غريبة (معبودات) و حيوانات طويلة القامة ثم المرحلة الثانية المعروفة بمرحلة المدرسة الطبيعية وتحتوي خاصة على رسوم الأبقار في قطعان أو فرادى ، إنها مرحلة رعاية الأبقار ، ثم تلت هذه المرحلة فترة الحصان ثم عصر الجمل..."⁴

لقد رسمت على الجدران صور الرجال و النساء و الأطفال من مختلف الأعمار ، "و هي في وضع عادي أحيانا و في مشاهد من الحياة اليومية أو في قيادة القطيع نحو المرعى ، أما مناظر



المصدر: لخضر بن بوزيد-المعتقدات والفن الصخري-

ص 236.

و من الممكن أن تكون مشاهد القطعان الكبيرة من الأبقار والأغنام و الماعز ، معبرة عن سحر الخصوبة ، فالمشاهد ذات الطابع الرمزي تدل على رغبة الرعاة في نماء أعداد قطعانهم ، ففي اعتقادهم أن رسم الأعداد الكبيرة من الحيوانات قد يعطيهم القدرة على امتلاكها ، "و وفق هذه الفكرة فالرعاة يشبهون الصيادين في مرحلة الجاموس العتيق Bupaline الذين مارسوا نوع من الصيد السحري ، فبرسم الحيوانات على جدران الكهوف يمارسون على الحيوان نوع من الهيمنة يساعدهم ذلك في القبض عليه " ¹⁴ .

يمثل الشكل المقابل (الشكل 4) "أشكال بشرية مرسومة بمساحات لونية حمراء " ، و (الشكل 5) "أشكال بشرية مرسومة بمساحات لونية حمراء على اليسار و شكل حيواني غريب على اليمين " .

الشكل (4): أشكال بشرية مرسومة بمساحات لونية حمراء.



المصدر: بحرة نادية-محاولة دراسة تحليلية للفن

الصخري بمنطقة آدمر(الطاسيلي أزجر-الصحراء

الوسطى-الجزائر)-ص 172.

الشكل (5): أشكال بشرية مرسومة بمساحات لونية

حمراء على اليسار و شكل حيواني غريب على اليمين.

وضعية أفقية تمثل الولادة ، فهذا المشهد يعبر عن خصوبة النساء و تكاثر الحيوانات " ⁹ .

يمثل الشكل المقابل (الشكل 2) "نساء ذوات رؤوس الطيور بالطاسيلي " و هي لوحة وجدت بالطاسيلي تمثل مجموعة من النسوة برؤوس الطيور ، "ربما أشارت هؤلاء النسوة بهذا المظهر إلى أنهن يمثلن ربات الخصوبة " ¹⁰ .

الشكل (2): آلهة ذات رؤوس الطيور.



المصدر: لخضر بن بوزيد-المعتقدات والفن الصخري-

ص 228.

يقمن النساء بدور مهم فهن "يحضين بالاحترام الكبير و قد يصل الأمر إلى عبادة المرأة في شكل آلهة أنثوية ، و المرأة ترتبط أيضا بالقصص الأسطورية التي تركها الإنسان مرسومة على الجدران ، كما نجد المرأة المقنعة بقناع يمثل حيوان من فصيلة الكلبيات الذي قد يكون ابن أوى فهي في هذه المشاهد تمثل آلهة الخصوبة " ¹¹ .

إلى جانب الدور الديني قد "تمثل المرأة كساحرة أو كاهنة ، كما يمكن أن تظهر في مشاهد معبرة عن الأمومة حيث يقول بعض الباحثين بوجود عنصر الأمومة مسيطرا على حياة الإنسان و هو ما يعرف بالأسرة الأميسية فغالبا ما يرتبط بالعنصر الأموسي بعبادة الربة العظيمة الممثلة للخصوبة " ¹² .

يمثل الشكل المقابل (الشكل 3) "مشهد لقطيع الأبقار " حيث تدل مشاهد القطعان الكبيرة على النماء و الزيادة في أعداد الحيوانات ، " فالأشخاص الذين رسموا هذه القطعان إنما كانوا يهدفون إلى نماء أعداد قطعانهم و زيادتها ، و هم يرسمون دوما قرب القطعان رموزا و أشكالا و دوائر و أشكال أفعاونية لحماية القطعان من الأمراض في نوع من سحر الخصوبة " ¹³ .

الشكل (3): مشهد لقطيع الأبقار.

لقد كانت الرسوم الصخرية سجلا حافلا دُون فيه الإنسان القديم مشاهد حياته اليومية عبرت عن الواقع المحيط به حيث تشهد هذه الرسوم الصخرية على العلاقة القوية بين الإنسان وبيئته ، حيث تُظهر بعض النقوش سلوكيات التكيف مع قسوة المناخ، والتغيرات المناخية، وتطور الحياة البشرية على حدود الصحراء ، كذلك توضح الرسوم فكرة عن السكان الذين عاشوا في هذه المنطقة، وممارساتهم الدينية ذات الطابع السحري والعبادات وحياتهم اليومية والاجتماعية.

المحور الثاني: الامتداد الحضاري و الثقافي لحضارة الإنسان البدائي.

إن كل ما مر على أرض الجزائر من حضارات و شعوب وقبائل ما هو إلا خلاصة تعاقب وتطور لحضارة الإنسان البدائي خاصة ما لاحظناه في كهوف الطاسيلي من مجموعة الرسوم الهائلة والتي دونت ثقافة وهوية هذا الشعب من خلال هذا الإرث الحضاري.

إن كان الفن في عهد ما قبل التاريخ لغة فإنه في نفس الوقت شيء أكثر من ذلك ، "شيء يتعدى اللغة و الذي في النهاية يحتوي كأحد عناصره الرئيسية ، و لكن حتى يصل إلى النقش والطلاء على الصخر استوجب على الإنسان أن يكون وعيه باللغة نفسها و يجعل منها أداة و يخلق لها هيكلًا في بعد أوسع خالقا ما يسميه علم الإشارات "ما وراء اللغة " أي البحث في اللغة".¹⁸

تعتبر الكتابات و النقوش القديمة من المصادر الرئيسية التي استسقى منها المؤرخون و الباحثون كل ما دُون و يدون عن تاريخ الجزائر القديم ، فهي التي يعتمد عليها بالدرجة الأولى لأنها تمثل وجهة نظر صانع الحدث ذاته، "فهي تشكل صفحات تروي قصص و حكايات السكان القدامى الذين استوطنوا بالمنطقة منذ أمد بعيد ، كما تعتبر منظومة اتصالية تضمن الترابط و التواصل بين الأجيال التي عمرت بهذا الموقع على مر الأزمان ، و تبقى شاهدا ماديا على جذور المنطقة الضاربة في أعماق التاريخ".¹⁹

فقد تعاقبت على الجزائر عدة حضارات "منها من اندثرت و منها من مازالت أثارها باقية ، فقد ترك الأمازيغ و الإنسان البدائي الذين سكنوا هاته الأرض إرثا متنوعا و فنا تشكيليا لا مثيل له".²⁰



المصدر: بحرة نادية-محاولة دراسة تحليلية للفن الصخري بمنطقة آدمير(الطاسيلي أزجر-الصحراء الوسطى-الجزائر)-ص176.

رسمت الأشكال البشرية بواسطة مساحات لونية موحدة حمراء مع استعمال الخط لتصوير الأطراف في بعض الأشكال "و هذا ما يعطي الأطراف مظهرا دقيقا جدا و غير طبيعي ، تتميز بعض هذه الأشكال بالحركة و هي غير مكتملة في معظمها حيث تتجه هذه الأشكال إلى اليمين وإلى اليسار على السواء ، وهي ذات مقاسات صغيرة تشير إلى أن تصوير الأشخاص كان بشكل شبه طبيعي مع ميول عام للتبسيط".¹⁵ فيما يخص الحيوانات فقد صورت كلها بشكل طبيعي و بمقاسات كبيرة و هي تمثل بقرنين إضافة إلى حيوان لم يتم التعرف عليه لعدم إكماله ، إضافة إلى بعض التفاصيل كموضع الرأس المنخفض و قصر علوه و ضخامة ساقيه و ذيله القصير تقربه من هيئة فرس النهر". تم رسم هذه الأشكال باللون الأحمر باستعمال تقنية المساحة اللونية الموحدة و الدارة والمساحة المحفوظة. وهي تتجه جميعها نحو اليسار بحيث لا تنظر إلى الأشخاص كلها مرسومة بالمنظور النسبي وكلها تتميز بالسكون".¹⁶

فالفن الصخري بالطاسيلي ناجر يعد من المعطيات الأكثر أهمية لمعرفة الأنواع البشرية التي سكنت المنطقة الصحراوية في ذلك الوقت باعتماد الملامح الإنسانية التي وجدت مرسومة أو منقوشة على الصخور ، "وعلى خلاف مرحلة الجاموس الأقدم التي قدمت ملامح إنسان أبيض ظهر في وقت باكر بالصحراء الوسطى عموما منذ بداية التحول إلى النيوليتي ، فإن النوع البشري الذي ظهر في مرحلة الرؤوس المستديرة التي تلتها يقدم ارتباطات زنجية ، ففي الألف العاشر قبل الميلاد وجدت مجموعات بشرية ب تادارت أكاكوس واحتلت أيضا الطاسيلي ناجر".¹⁷

يؤمن الأسس للهوية الوطنية ويكون مرجعا للذاكرة و للروح لإيجاد توازن مع نوعية الحياة. لقد انعكست تعقيدات عصرنا و تشابك عوامل التطور وقفزات النمو المعرفي والثقافي فيه على مسألة التوثيق بين تراثنا متعدد الأشكال والألوان القادم من تاريخ طويل فني متنوع المراحل والتجارب لكن التراث على أي حال يبقى كائنا لا يموت و لا يشيع ولا يشيخ ولا يتجمد.

إن العلاقة بين التراث و الفن علاقة عضوية و مصدر الهام للمبدعين الجزائريين المجددين لأن التراث يبين أو يجدد الخصوصية التاريخية و الفنية و الدينية بمعنى آخر الهوية الوطنية، فالتراث يستمر متوجها حيا في الإنسان و بيئته الشعبية في أفكاره ومعتقداته و تقاليده وعاداته و عمارته وثقافته و فنونه وحرفه و مشغلاته التقليدية عموما ، متخذا منبعا للاستحياء والإلهام مما أضفى عليها سمة التميز والأصالة.

إن التراث سيضل رفيق الإنسان في كل زمان و مكان يفرض نفسه في إبداعاته المختلفة بل يحاول أن يصنع بصمة جمالية في تجسيد ملامحه و يجعل معطياته تحيل على شيء أعمق من مظهرها و شكلها.

عادة ما يتم التعبير عن هذه "الهوية القومية بلغة تسعى اللغة القياسية standard language و هي لغة متكلفة تم تلفيفها و تعديلها من لهجات متعددة " ²⁴ حيث يعتبر الفن الصخري مكونا هاما من مكونات التراث الثقافي للشعوب.

أما الكتابة التي شهدتها بلادنا آنذاك فهي "الليبية التي توصل العلماء إلى فك رموزها دون أن يسيطروا على فهمها ، وتكون الروايات الأدبية المنسوبة لمؤلفين أجانب مصدرا جديدا حول تلك الفترة " ²⁵.

إلى هنا يمكننا القول بأن نهضة الشعوب لا تقاس بما وصلت إليه من تطور و تقدم تكنولوجي و ثقافي بل تقاس بمستوى الحفاظ على التراث الثقافي. فلا يمكن كتابة تاريخ الشعوب وحضاراتها إلا من خلال تكامل معطيات مختلف أنواع المصادر المكتوبة و الأثرية و التي تعبر عنها أغلب الرسوم الصخرية في الطاسيلي من التراث المادي للجزائر و الذي يعتز به. و يعتبر من الكنوز التراثية الثمينة، ومازالت الجهات المعنية تطالب الاهتمام بهذه الكنوز الثمينة في إطار العناية بمنظومتها الثقافية و التراثية، باعتبار أن هذه الرسومات التي أنتجها السكان الأصليون و القدماء في منطقة الطاسيلي كانت

ومما لا شك فيه أن للموروث الثقافي والتاريخي بالجزائر أثرا بالغا و دورا هاما في إثراء الساحة الفنية والحضارية عبر الزمن و هو ما مكننا من اكتساب إرث وتراث ثري اكتسب بالممارسة عبر الزمن وعبر الأجيال لتشكل بذلك هوية شعب متأصل ومتجذر في التاريخ، فالهوية فاتحة للتراث و لا يتم بدونها و هنا تتجلى وتبرز معالم الهوية لهذا الشعب لذا وجب الإلمام بهذا التراث لتحقيق غاية الهوية التي لا تتحقق طبعاً إلا بالحفاظ على هذا الإرث العظيم.

وتتجلى لنا هنا أن الهوية هي " تلك الخصوصية المتعلقة بالأشياء و المرتبطة بها ارتباطا وثيقا عبر الزمن و هوية كل أمة كامن في ثقافتها و تراثها المتوارث " ²¹، فقد كان لزاما على كل أمة الحفاظ على تراثها المختلف والمتنوع لتحديد هوية المجتمع الذي ينسب إليها و تحقيق التميز عن غيره من المجتمعات الأخرى لدى باقي البقاع. و نلاحظ في زمننا الحالي سباق معظم الأمم للحفاظ على الموروث الثقافي خاصة لما له من الأثر البالغ في تحديد هويتها الخاصة

و علينا أن نفرق عند الحديث عن الهوية الثقافية "بين الإجراءات التي تتخذها المجتمعات لتصنيف سكانها والهويات التي ينسبها الأفراد إلى أنفسهم في ظروف مختلفة و أمام متحدثين مختلفين فإذا كانت الهوية التي تمنحها المجتمعات تنطلق من تصورات جامدة و أفكار نمطية ثابتة و تعميمات متحيزة فإن الهوية التي يمنحها الأفراد لأنفسهم تتغير حسب السياق الاجتماعي " ²².

ومن الملاحظ أن علماء الآثار و علماء الأنثروبولوجيا قد اهتموا بالفنون التي كانت سائدة في الطاسيلي من مخلفات الإنسان القديم وخاصة تلك النقوش والرسوم في الصخور والكهوف ، التي ساعدت الجزائر في النهوض من الناحية السياحية ، "فقد نشأت من خلالها الحضيرة الوطنية للطاسيلي، في سنة 1972/1978 وبعد سنوات أي في سنة 1982 أضيفت محمية الطاسيلي من قبل لجنة التراث العالمي UNESCO ، و في العام 1986 أدخلت في قائمة المحميات العالمية. التي تعتبر إرثا ثقافيا للشعب الجزائري ، وتعد من الخصوصيات التاريخية و المحلية لدى الكثير " ²³.

الإنسان ابن بيئته يتفاعل معها تأثيرا و تأثرا و يتجلى ذلك التأثير في عدة مظاهر ثقافية حيث يتمثل في التراث المادي واللامادي. الفن إذ اعتمد على التراث كرر نفسه وأصبح عبدا لما سبقه و انتهى الحاضر بصورة مشابهة للماضي. إن التراث

9. الرسوم الصخرية موروث ثقافي يضمن استمرار وجود الأمة بهويتها وخصوصيتها وأمجادها العظيمة.

توصيات:

- يوصي البحث في ضوء ما تقدم إلى
- المساهمة في التعريف بهذا التراث مع العمل على المحافظة عليه.
- ترسيخ الوعي بأهمية هذه الرسوم الصخرية و الاطلاع على هذه المحتويات التي تساعد على إبراز حضارة المنطقة و معالمها الأثرية.
- تشجيع ثقافة الاهتمام بالجانب التراثي
- التوعية بالوزن التاريخي للموروث الأثري بمنطقة الطاسيلي.
- الرجوع إلى ما زخرت به الفنون الكهفية القديمة للتعرف على الماضي السحيق و ما يتضمنه من تجسيد الواقع المعاش في إبداعها الفنية.
- حماية هذا الإرث الحضاري الإنساني مسؤولية لا تقع على الجهات الرسمية فقط، بل يشترك فيها سكان المنطقة و الشعب الجزائري عموما.
- الحفاظ على هذا التراث الثقافي و بعده الحضاري لحفظ ذاكرة و هوية الإنسان و المجتمع.

. قائمة المراجع:

1-المراجع العربية:

- 1-بحرة نادية- محاولة دراسة تحليلية للفن الصخري بمنطقة آدمرا(الطاسيلي أزجر-الصحراء الوسطى-الجزائر) رسالة جامعية لنيل شهادة الماجستير -معهد الآثار-جامعة الجزائر-2006/2005.
- 2-تريكي حمزة-جمالية الفكر الفني المعاصر في الحفاظ على الموروث الشعبي و الثقافي بالجزائر - مجلة النص-جامعة عبد الحميد بن باديس-المجلد 07 -العدد 02-مستغانم-2020.
- 3-حميدة أحمد-مصادر الفن التشكيلي الجزائري بين التراث والمعاصرة - أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه-تخصص فنون تشكيلية-كلية الآداب و الفنون-قسم الفنون-جامعة وهران-2018/2019.

تحمل عدة تفسيرات و معاني، عبرت عن لغة تواصل فيما بينهم آنذاك .

خاتمة:

من المهم التأكيد ختاماً أن الرسوم الصخرية بمنطقة الطاسيلي من أهم المصادر الفنية التي تعبر عن أصالة و هوية الشعب الجزائري، كما أن تقديرنا لقيم الماضي هو تمييز لموروث حضاري لا يتوقف عن النمو و التراكم.

تمثل لوحات الطاسيلي أقدم الأمثلة المعروفة للفن التشكيلي الجزائري رغم أنها مصدر المعلومات لعدم وجود الكتابة، فقد كانت نشاطات الإنسان القديم مشروطة ببيئته القاسية و مرتبطة بواقعه السحيق، و على أية حال ستظل أهم الكنوز المعبرة عن هوية و ثقافة شعب متأصل في التاريخ، و قد كشفت هذه الدراسة عن ارتباط الرسوم الصخرية بالتراث الثقافي و الهوية الوطنية من خلال:

1. أنها مصدر المعلومات الوحيد حول ثقافة و معتقدات هؤلاء الناس.
2. الأهمية الحضارية للرسوم الصخرية في سجل التاريخ الإنساني كونها مادة أصيلة معبرة عن الموروث الحضاري.
3. تضم الرسوم الصخرية بمنطقة الطاسيلي أشكالاً آدمية و حيوانية و حتى رموزاً متنوعة عبرت عن الحياة اليومية و المعيشية و اعتبرت لغة تواصل بين الجماعات آنذاك.
4. الرسوم الصخرية بمنطقة الطاسيلي تراث ثقافي وأحد ركائز الهوية الثقافية.
5. الرسوم الصخرية إرث عريق يربط حاضر الأمة بماضيها الضارب في جذور التاريخ.
6. الرسوم الصخرية ذاكرة حية للفرد و المجتمع ، وبالتالي تمثيل للهوية للتعرف على الشعوب القديمة.
7. الرسوم الصخرية إبداع عفوي أصيل، يحمل ملامح الشعب و يحفظ سماته و يؤكد عراقتة ، و يعبر عن واقع أفرادها على مختلف مستوياتهم.
8. تعكس الرسوم الصخرية بمنطقة الطاسيلي علاقات حضارية و اجتماعية تتجاوز في مداها حدود الجزائر و هي جزء لا يتجزأ من الحاضر.

9- لخضر بن بوزيد-المعتقدات و الفن الصخري , الطاسيلي
أزجر في ما قبل التاريخ- رسالة ماجستير في التاريخ القديم
قسم الآثار-جامعة الجزائر.

10- أ.العياضي حفيظة-الهوية الحضارية لتوارق الطاسيلي
ناجر. مجلة دراسات في العلوم الانسانية والاجتماعية-جامعة
الجزائر-العدد 20-2012

11- متاحف الجزائر-سلسلة الفن و الثقافة-ج3.

2-المراجع الأجنبية.

- 1-Cornevin Marianne, Les Néolithiques du Sahara central et l'histoire générale de l'Afrique, bulletin de la société préhistorique française-1982-tome79-N10 12 .
- 2- Laude Jean-En Afrique noire: arts plastique et histoire- Annales. Economies, sociétés, Civilisation 14 année N4-19

4-زينب عبد التواب رياض خميس-الأوضاع التعبدية التي
أظهرها الفن الصخري في مصر و شمال إفريقيا خلال العصر
الحجري الحديث-مجلة الدراسات البردية و النقوش-كلية
الآثار-جامعة أسوان-المجلد 38- العدد 1-مصر-2021.

5-عبد الحميد بعيطيش-المحتوى التاريخي للنقوش الصخرية
في الصحراء الجزائرية - مجلة دراسات-جامعة الجلفة - السنة
السادسة-العدد 16- الجلفة-2014

6-فابريتشيو موري-تادارات أكاكوس, الفن الصخري
وثقافات الصحراء قبل التاريخ – تر : عمر الباروني, فؤاد
الكعبازي - ط 1 -منشورات مركز دراسة جهاد اللبين ضد
الغزو الايطالي--ليبيا-1988.

7- ك. إبراهيمي - تمهيد حول ما قبل التاريخ في الجزائر – تر :
محمد البشير شنيقي / رشيد بورويبة- ط 1 -وزارة الثقافة-
الجزائر العاصمة-2007.

8- كلير كرامش - اللغة و الثقافة-تر:د.أحمد الشيمي – ط 1 -
وزارة الثقافة و الفنون و التراث- قطر-2010.

¹ متاحف الجزائر-سلسلة الفن و الثقافة – ج 3-ص 10.

² Laude Jean -En Afrique noire: arts plastique et histoire- Annales. Economies, sociétés, Civilisation 14 année N4-1959-p 640-661.

³ Cornevin Marianne, Les Néolithiques du Sahara central et l'histoire générale de l'Afrique, bulletin de la société préhistorique française-1982-tome79-N10 12-p 439-450.

⁴ ينظر :ك.إبراهيمي - تمهيد حول ما قبل التاريخ في الجزائر- تر : محمد البشير شنيقي / رشيد بورويبة – ط 1-وزارة الثقافة-الجزائر العاصمة-2007-ص 125.

⁵ ينظر : المرجع السابق-ص 126 .

⁶ حميدة أحمد-مصادر الفن التشكيلي الجزائري بين التراث و المعاصرة - أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه-تخصص فنون تشكيلية-كلية الآداب و الفنون-
قسم الفنون-جامعة وهران-2019/2018-ص 101.

⁷ زينب عبد التواب رياض خميس-الأوضاع التعبدية التي أظهرها الفن الصخري في مصر و شمال إفريقيا خلال العصر الحجري الحديث-مجلة الدراسات
البردية و النقوش-كلية الآثار-جامعة أسوان-المجلد 38 – العدد 1-مصر-2021-ص 23.

⁸ لخضر بن بوزيد -المعتقدات و الفن الصخري , الطاسيلي أزجر في ما قبل التاريخ-رسالة ماجستير في التاريخ القديم-قسم الآثار-جامعة الجزائر-ص 231.

⁹ المرجع السابق-نفس الصفحة.

¹⁰ زينب عبد التواب-الأوضاع التعبدية التي أظهرها الفن الصخري-ص 23.

¹¹ لخضر بن بوزيد-المعتقدات و الفن الصخري-ص 226.

¹² المرجع السابق-نفس الصفحة.

¹³ المرجع السابق-ص 236.

¹⁴ المرجع السابق –ص 237 .

- ¹⁵ بحرة نادية- محاولة دراسة تحليلية للفن الصخري بمنطقة آدمير(الطاسيلي أزجر-الصحراء الوسطى-الجزائر) رسالة جامعية لنيل شهادة الماجستير-معهد الآثار-جامعة الجزائر-2006/2005-ص49.
- ¹⁶ المرجع السابق-ص50
- ¹⁷ ألعياضي حفيظة-الهوية الحضارية لطوارق الطاسيلي ناجر-مجلة دراسات في العلوم الانسانية و الاجتماعية-جامعة الجزائر-العدد 20 -2012 -ص 82/83.
- ¹⁸ فابريتشيو .موري-تادارات أكاكوس , الفن الصخري و ثقافات الصحراء قبل التاريخ-تر : عمر الباروني , فؤاد الكعبازي - ط 1 -منشورات مركز دراسة جهاد اللبيين ضد الغزو الايطالي -ليبيا-1988-ص 257.
- ¹⁹ عبد الحميد بعبطيش-المحتوى التاريخي للنقوش الصخرية في الصحراء الجزائرية- مجلة دراسات-جامعة الجلفة-السنة السادسة - العدد 16 – الجلفة – 2014 - ص 03.
- ²⁰ حميدة أحمد-مصادر الفن التشكيلي الجزائري بين التراث و المعاصرة-ص99.
- ²¹ تريكي حمزة-جمالية الفكر الفني المعاصر في الحفاظ على الموروث الشعبي و الثقافي بالجزائر - مجلة النص – جامعة عبد الحميد بن باديس-المجلد 07-العدد 02-مستغانم-2020-ص163.
- ²² كلير كرامش - اللغة و الثقافة-تر:د.أحمد الشيعي – ط 1 -وزارة الثقافة و الفنون و التراث -قطر-2010-ص121.
- ²³ حميدة أحمد-مصادر الفن التشكيلي الجزائري بين التراث و المعاصرة-ص102.
- ²⁴ كلير كرامش - اللغة و الثقافة-ص125.
- ²⁵ ك.إبراهيمي-تمهيد حول ما قبل التاريخ في الجزائر-ص15/14.